خاتمـــــــة

كنت أريد – عندما فكرت فى هذه الدراسة – أن أقوم بسباحة عكسية أعود فيها إلى الوراء المؤثر فى حاضرنا ، إلى العصر الذى أدرك رجاله من المفكرين وأيضاً من الساسة – ففكرة البعثات من الأفكار التى تفتقت عنها قريحة الوالى « محمد على» – أن المجتمع بحاجة إلى تلقيح فكره بفكر آخر ، وإضافة علوم لم تكن معروفة آنذاك ، وكان من الضرورى أن تعرف إذا قدر له – كما خطط له وإليه – أن يتبوأ مكانة مرموقة بين المجتمعات .

وكانت نقطة البداية كما أراها هى ظهور « رفاعة رافع الطهطاوى » . ولكن الطهطاوى نفسه كان نتيجة لتفاعلات سابقة على زمنه ، بدأت قبل بروز محمد على وقبل الحملة الفرنسية أيضاً ، وإن أذكتها الهزيمة العسكرية على أيدى جنود الحملة ، والمشاهد الجديدة فى الدواوين والمجالس التى أنشأها نابليون فى القاهرة كخطوة – وإن كانت انتهازية – نحو الشورى ، والمجامع العلمية . فكان لا بد من الرجوع خطوة أخرى إلى الوراء ، إلى العصر الذى كتب عنه الجبرتى أعظم كتبه « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » . وهناك كانت الإجابة عن تساؤلات كثيرة راودتنى ، حاضرة عن أحوال مصر فى منتصف القرن الثامن